

المحاضرة التاسعة

مقرر: الفكر والدين في مصر القديمة- الفرقة الثالثة - شعبة الآثار المصرية - قسم الآثار

عنوان المحاضرة: "نماذج لأشهر الأساطير في الديانة المصرية القديمة"

أولاً : أسطورة الصراع بين حور وست

نتلخص هذه الأسطورة في أنه كان هناك ملك طيب يُدعى أوزير- قتلته أخوه الشرير ست في محاولة منه لاغتصاب العرش ، إلا أن زوجته إيزيس تنجح في الحصول على جثة زوجها أوزير ، وأن ترد إليه الحياة ، ثم عكفت على تربية ابنها في كتمان مُطلق ، حتى إذا ما شب وصلب عوده ، انتصر- على قاتل أبيه ، وجلس على عرشه . والقصة ترجع على ما يبدو إلى بداية التاريخ الفرعوني نفسه ، وقد كان يضاف إليها ويحذف منها على مدار التاريخ الفرعوني كله .

هذا عن ملخص الأسطورة أما إذا حاولنا تقديم صورة لبعض تفاصيلها فنذكر- أنه ورد في أقدم المتون الدينية (متون الأهرام) بعض التلميحات عن هذه القصة ، فنجد أن أوزير كان ابناً لجب ونوت ، وأن أوزير- عين ملكاً على مصر إلا أن نار الحقد قد شبت وتأججت في قلب أخوه ست الشرير الذي تمنى لنفسه عرش مصر ، ومن ثم أخذ في تعقب أوزير حتى استطاع قتله ، ثم ألقى به في النيل ، فسبحت جثته في الماء ، حتى بلّيت ، ولكن نوت أم أوزير وإلهة السماء انحنّت على أوزير فضمت جسده وعظامه إلى بعضه البعض ، وأعادت القلب إلى مكانه في الجسم ، ثم وضعت الرأس في مكانه ، أما إيزيس ونفتيس ، فقد بحثا في كل مكان حتى عثر على جثة أوزير الملقاة في الماء ، فأمسكت لإيزيس بها وأخرجتها ، فرفع رءوسه وأمره أن يستيقظ ، فاستيقظ واستقبل حياة جديدة .

أما عن حورس وكيف وضعت بذرتة ، فقد تصورها المصريون كما يأتي: تجولت إيزيس إلى طائر حط فوق جثة زوجها ، فحملت منه ، ثم وضعت حورس نتاج هذا الحمل ، وتعاونت مع أختها نفتيس على تربيته وتنشئته ، حتى شب وأصبح قادراً على قتال عمه ست قاتل والده ، فنقاتل معه ، وقد استطاع ست أن ينتزع خلال هذا القتال عين حورس ، ولكن يستطيع حور أن يسترد هذه العين مرة أخرى ، وأن ينتصر- على ست ، ومن ثم فقد أهدى عينه إلى والده أوزير فألصقها به ، حتى يستطيع أوزير- أن يحيى وأن يرى بها.

وهذه التوضيحية - وهي رمز لحب الابن لأبيه - هي التي جعلت أوزير يحيى ويقوى . إلا أنه لم يحيا مرة أخرى في عالم الأحياء ولكنه انتقل إلى عالم الأموات ، ليصبح ملكاً على أموات هذا العالم.

وعلى أي حال فإن الصراع بين حور وست قد انتقل إلى قاعات المحاكم ، وبالتحديد إلى قاعة المحاكمة الموجودة في هليوبوليس. حسبما ذكرت الأسطورة وفي هذه المحكمة التي كان أعضائها كلهم من الآلهة تم إعلان الحق في جانب حور بعد أن حاول ست جاهداً إنكار نسبة حور لأبيه ست ، إلا أن الحكم يصدر بتتويج حور ملكاً على مصر خلفاً لأبيه أوزير . ونعرف من بردية تعود إلى عهد الدولة الحديثة أن هذه القضية قد استمر نظرها أمام المحكمة حوالي ثمانين عاماً .

ومن العصور- المتأخرة دخلت على هذه القصة إضافات جعلتها أكثر مُتعة ، فيروي بلوتارخ أن ست كان قد استدرج أخيه أوزير ، ودعاه ليضطجع في صندوق على سبيل المزاح ، ثم أقفل الصندوق عليه ، وقذفه في البحر ، فبحثت عنه حتى وجدته ، ثم روّحت عليه بأجنحتها ، فهب الهواء ، ودبت الحياة في جسم الإله الميت .

وتفصيل ذلك أن ست كان قد صنع تابوتاً بحجم أوزير- تماماً ، وعرضه في خلال مأدبة ، ووعد مداعباً بإهدائه لمن يستطيع أن يملأه تماماً ، فلم يناسب الصندوق أحداً إلى أن جاء الدور على أوزير فنام فيه ، وعندئذ أسرع في الحال أتباع ست المتآمرون ، ووضعوا غطاء الصندوق ، وأغلقوه بالمسامير ، وألقوا الصندوق في النيل ، وظل عائماً حتى بلغ البحر ، وبحث عنه إيزيس ، وعلمت أنه جنح إلى شاطئ فينيقيا عند مدينة جبيل (بيلوس) ، فنبتت على هذا الصندوق شجرة احتوته في داخله ، إلا أن ملك جبيل أعجب بضخامة هذه الشجرة ، واتخذ من جذعها الذي يضم الصندوق عموداً يدعم سقف قصره ، إلا إيزيس تتجح في انتزاع هذا العمود وإخراج الصندوق والعودة به إلى مصر ، ثم خبئت الصندوق ، إلا أن ست يكتشف مكان الصندوق ، ويستخرج جثة أوزير ، ويقطعها مجموعة قطع يوزعها على أجزاء متفرقة في مصر ، ولكن إيزيس تتجح مرة أخرى في العثور على هذه الأجزاء وتجمعها من شتاتها حتى تكتمل جثة أوزير- الذي تعود إليه الحياة مرة أخرى كما أسلفنا . والقصة في مجملها تقدم لنا مجموعة من المفاهيم التي ربما تكون هي الأساس الذي بنيت عليه هذه الأسطورة وهذه المفاهيم تتمثل فيما يلي :

المفهوم الديني : وهو التأكيد على فكرة البعث والخلود بعد الموت ، فالإله أوزير المقتول في هذه الأسطورة قد انتصر- على الموت ، فهو قد مات حقاً ، إلا أنه عاد إلى الحياة مرة أخرى ، ولكن في حياته الثانية لم يعود إلى عالم الأحياء ، ولكنه أصبح حاكماً لعالم الأموات ، تاركاً حكم عالم الأحياء لأبنة حور ، وقد أطلق على أوزير- الذي حكم مملكة الأموات اسم “ ون-نخفر ” .

المفهوم السياسي : فالملك حاكم مصر قد أدمج منذ بداية التاريخ الفرعوني بالملك حورس ، ولذلك فقد نعت بـ “ حور ” أو “ حور-نوب ” التي ربما تعني “ حور الذهبي ” أو “ حور المنتصر على ست ” فمدينة nwbt كانت مسقط رأس الإله ست الذي مثل دور الشر وأخو أوزير في هذه

الأسطورة ، ومن ثم فإن تصوير الإله حورس واقفاً على علامة الذهب  التي ربما هي رمز مدينة نوبت مسقط رأس ست ، يشير إلى انتصار حور على ست متمثلاً في مدينته ، والمعنى أن الملك نفسه هو حور ، أي أنه إله من نسل عالم الآلهة ، فكما كان حور ابناً لإلهين هما أوزير وإيزيس فإن الملك وهو حور يجب أن يكون كذلك ابناً لملكين حتى أن قوانين وراثته العرش في مصر الفرعونية تنص على أنه لا يعتلي عرش البلاد إلا من كانت تجري في عروقه الدماء الملكية الخالصة أي أن يكون أبواه ملكان وربما كان ذلك هو السبب في ظاهرة زواج الأخ بأخته في مصر الفرعونية وذلك لتقليل عدد المتطلعين للعرش ولتأكيد صفاء الملكية من ناحية أخرى .

المفهوم الاجتماعي : يتمثل المفهوم الاجتماعي في فكرة انتصار الحق على الشر ، وفكرة وفاء الزوجة لزوجها متمثلاً في موقف إيزيس في هذه الأسطورة ، وفكرة بر الابن بوالده متمثلاً في موقف حور من والده أوزير في الأسطورة .

ثانياً : أسطورة قرص الشمس المجنح :

كتبت الأسطورة بالخط الهيروغليفي في نقش طويل في معبد أدفو الذي يعود إلى عهد الملك بطلميوس السادس عشر (قيصريون) ، وتذكر الأسطورة أنه في العام 363 من حكم ملك مصر العليا والسفلى “ رع-حر-أختي ” حدثت مؤامرة ضد هذا الإله في مصر ، بينما كان هو حينذاك في النوبة على رأس جيشه ، ولم يذكر النص أسماء المتآمرين ، ولكن يبدو أن المؤلف تخيلهم ضرباً من الأرواح الشريرة ؛ ولهذا ترك “ رع-حر-أختي ” النوبة مُبحراً في سفينته حتى وصل إلى مدينة أدفو ، وهناك أمر حورس أن يقاتل هؤلاء الأعداء ، ومن ثم نجد حورس يُخلق في السماء في شكل قرص الشمس المجنح ، يهاجم الأعداء الذين فروا أمامه ، ولذلك عندما يعود

حور إلى سفينة “رع-حر-آختي” يقترح الإله تحوت منحه لقب “حور بحدتي” أي “حور الأدفوي”.

إلا أن الأعداء الفارين قد تقمصوا أشكال تماسيح وأفراس نهر ، وهاجموا سفينة “رع-حر-آختي” ، إلا أن حورس قد قضى عليه ، ثم تقمص مرة أخرى صورة قرص الشمس المجنح ، وأخذ مكانه في مقدمة سفينة رع-حر-آختي متعقباً هؤلاء الأعداء ، وكان بجوار الإلهين نخبث ووادجيت ، وقد استطاع هزيمتهم في كل مكان ، وكان ست رئيساً للمتآمرين كما تروي هذه الأسطورة ، إلا أن ست يختفي في فجاج الأرض بعد أن ظهر في شكل ثعبان .

وقد تجدد القتال مرة أخرى في (تحل) بالمقاطعة العشرين من مصر السفلى ، وهي مدينة تقع على الحدود مع آسيا قرب البحر ، وبعد تحقيق النصر أيضاً في الدلتا يتجه حور إلى النوبة ، حيث يقضي على تمرد هناك ، ويعود “رع-حر-آختي” إلى ادفو مرة أخرى ، ويقرر مكافأة حور على خدماته بأن يوضع قرص الشمس المجنح في المستقبل في كل معابد وهياكل آلهة وإلهات مصر العليا والسفلى ؛ لكي يحفظها من الأعداء .

هذه الأسطورة يمكن اعتبار أنها تقدم لنا تفسيراً عن أصل قرص الشمس المجنح ، وهو الشكل الذي ظهر فيه “حور البحدتي أو الادفوي” خاصة فوق صروح المعابد في العصور المتأخرة ، كما أنها يمكن أن تعود لأحداث تاريخية حقيقية ، فيما يرى البعض ، فهي إما تمثل تلك المعارك والخلافات التي سادت بين أنصار عبادة ست وأنصار عبادة حور في عهد الملك “بر-ايب-سن” من الأسرة الثانية أو أنها في رأي آخرون تشير إلى ثورة المصريين ضد الاحتلال الفارسي في الفترة التي سبقت عصر الإسكندر الأكبر .

ثالثاً : أسطورة هلاك البشر

وردت هذه الأسطورة مكتوبة على جدران كثير من مقابر عصر الدولة الحديثة ، كما ذكرت في أثناء حكم مري-كارع . وتتحدث عن الخطيئة التي ارتكبتها البشر ضد رع . ولقد حدث ذلك في زمن كان البشر والآلهة فيه يعيشون مع بعضهم البعض على الأرض ، ولكن عندما أصابت الإله رع الشيخوخة ، بدأ الناس يعصونه ، ويتآمرون ضده ، فسأل الآلهة في ذلك طالباً منهم المشورة ، فاقترحوا عليه أن يرسل عينه التي هي الشمس متقمصة مظهر المعبودة حتحور ؛ لكي تسحق المتآمرين .

وبالفعل قتلت منهم حتحور عدداً كبيراً ، ولهذا وصفت بأنها سخمت أي القوية ، ثم عادت ، وهي مصممة أن تذهب لهم مرة أخرى للقضاء عليهم تماماً . وهنا يشفق رع على البشر ، فوجه رسله إلى جزيرة اليفنتين لإحضار مقدار كبير من مادة حمراء اللون أطلقت عليها الأسطورة الاسم “ديدي” ، ثم أمر بتجهيز سبعة آلاف إبريق من الجعة التي مزجت بها هذه المادة ، فظهرت الجعة بلون أحمر يشبه الدماء .

وفي صباح اليوم الذي أزمعت حتحور فيه أن تذهب لتدمير البشر أمر رع بأن تُصب الخمر في الحقول ، وعندما قدمت الإلهة ، وشربت من الحقول أصبحت ثملة تماماً ، مما جعلها تغفل عن ضحاياها . ومن ثم أمكن إنفاذ البشر من مصير رهيب بفضل تدخل الإله رع .

وإذا كان الإله العجوز-رع قد حفظ بني الإنسان من الهلاك ، إلا أنه لم يرغب في البقاء سيّداً على هذه المخلوقات الناكرة للمعروف ، وهنا ينادي نون ابنته نوت التي على شكل بقرة ، ليجلس رع على ظهرها ، وترتفع نوت برع إلى السماء ، وبذلك تكونت السماء ، ولكن عندما أَلقت نون

بنظرها إلى أسفل “ ارتعشت من شأق الارتقاع ” فنأدى رع الإله شو ، وقال له : “ ضع نفسك تحت ابنتي نوت ، وخذها فوق رأسك ” فنأذ شو ما أمر به ، وسند منذ ذلك الحين بقرة السماء التي تلمع النجوم على بطنها ، وتتأرك الشمس فوقها في قاربها هنا وهناك .

وتأأنا الأسطورة نفسها عن القمر ونشأته ، فلأأ جاء بها أنه عندما كان رع يسكن السماء ، قال لتأوت “ فلأكن أنت في السماء في مكاني إبان الفترة التي أضئ فيها الدنيا السفلى . . . فأنت في مكاني هذا ككأنب عني ، ولسوف أأأوك الناس بـ كأنب رع ” . ومن الواضح أن الأسطورة بأسرها هي تفسير أسطوري لأأأأ الشمس عند المأب وبأول ضوء القمر ليلاً .

أنتهت المأضرة،،،

أالص التمنيات بالتوفيق
أ.صأبر مأأ صأأ
أبريل 2020.